

حكايات غيرت الدنيا
معمل الألوان
محسن محمد محسن

معمل الألوان

بالبَحثِ والتَّنقيب فى بعَضِ المخطوطاتِ القَديمة ، عَثَرْنا على هذه الحكايةِ الطَّريفة ، الَّتى يَحكيها جدٌّ شَيخٌ لأحفادِه الصِّغار .

ونحنُ بدورِنا نقُصُّها عليكم كما قرأناها ، بما فيها من سَجْعٍ وأوْزان ، كما كانتِ العادةُ عندَ أهلِ ذلك الزَّمان .

كان ياما كان ..

يَحكِى لنا الشَّيخُ الحكيم « جريشان » .. من قديمِ الزَّمان .. فيقول :

كان ياما كان .. كانَ هُناك فى قديمِ الزَّمان .. قريةٌ من قُرانا الجميلة اسمُها قريةُ « زمان » .. أبدعَ صُنعَها الرَّحمن .. الزُّهورُ فيها أشكالٌ وألوان .. تسطَعُ الشَّمسُ فيها .. وماءُ النَّهرِ يُرويها .. كانت فى

الحقيقةِ نعمةٌ من نِعَمِ الخالقِ ، أحسَّ بها أهلُ البِلادِ .. فحَمَدوا عليها ربَّ العِبادِ ..

وكان كلُّ النّاسِ سُعداءَ بخيراتِ القريةِ الكثيرة .. ومَيْزاتِها الكبيرة .. الَّتى وهبَها لهمُ الرَّحمن .. لا سِيَّما وأنَّهم كانوا من أذكَى بنى الإنسان .. فى ذلك الزَّمان .. يتمتَّعونَ بنورِ العلمِ وحلاوةِ الإيمان ..

وكان مُعظمُ أبناءِ القريةِ منَ النّابغين فى العلومِ .. ومن المُتقدِّمينَ فى البَحثِ والدَّرس .. ولذلك تقدَّمت قريةُ « زمان » ، على غيرِها فى كافَّةِ العلومِ والفنون .

ولكنْ ما هو السَّببُ فى تقدُّمِ قريةِ زمان ؟ أنا أقولُ لكم يا أولادى ..

كان سكَّانُ القرية ، قريةِ زمان » .. إلى جانبِ نورِ العلمِ وحلاوةِ الإيمان .. يتمتَّعونَ بسماحةِ الأخلاق .. لذلك عاشوا فى وِفاق .. ولم يعرفْ أحدُهم يومًا معنى الكَذِبِ أوِ النِّفَاق .. وكانَ الصَّغِيرُ



فيهم يطيعُ الكَبير .. منَ الخفيرِ إلَى الأمير .

وكان فى القريةِ ولدٌ صغيرٌ كَسلانُ كَسلان .. اسمُه حمدان .. ينعَسُ دائما وينام .. ولا يسمعُ الكلام .. ولا يُفيدُ فيه نُصحٌ أو مَلام .

ضاقَ أبوهُ من فِعالِه .. واشتكَى لكلٍّ من قابله من سوءِ أحوالِهِ .. وها هو المِسكين .. يجلسُ علَى شاطىء النَّهر وهو حَزين .. يُفكِّر فى أفعالِ حَمدان .. الَّذى قضَى عليه بالذُّلِ والهَوان .

وبعدَ قليلٍ مرَّ عليه الحكيُم مُراد .. كأنَّما كان معه على ميعاد .. وفى الحالِ حكَى أبو حمدان .. للحكيم عن أحوالِ ابنهِ الكسلان .. وعن مُحاولاتِه المُثيرَة .. ونصائحِه الكَثيرَة . لإصلاحِ أخطاءِ ابنهِ الخطيرَة .. فهوُ كسلانُ كسلان .. وعن كلِّ شيءٍ فى الدُّنيا غفلان .. أقولُ له اذهبْ إلَى الدُّكَّان .. فيذهبُ ليلعبَ فى أيِّ مكان . أقولُ له احمِلِ الماءَ

واتبعْنى إلى البُستَان،فينسى ما قلتُه الغافلُ الكَسلان .. اذهبْ يا حمدانُ وآتِنى بالأكل .. يرجعُ إلىَّ والبيضُ مكسورٌ فى يَديْه .. وباقِي الأكلِ مسكوبٌ والتُّرابُ عليه . ألا ترىَ يا حكيمُ مراد .. ما فيـهِ ابنـى من فَساد ؟ ومع ذلك لا يَهتمُّ بجلوسى طولَ اليَوْمْ .. وأنا حزينٌ مهموم دونَ طعامٍ أو نَوْم .

ضحِك الحكيمُ مراد ، وقال :

ـــ يا أبا حمدان .. إنَّ ابنَك الغفلان .. سيظلُّ هكذا كسلان .. إن لم يَتحمَّلِ المسئوليات .. ويُفكِّر فى عواقبِ التصرُّفات .

كان الحكيمُ مرادُ من الحكماءِ المُخترعين .. والأخِصَّائِيينَ المُحترِفين ، فهو أمهرُ بنى الإنسان .. فى صِناعةِ الأصْبـاغِ والألوان .. فضلًا عن صناعـةِ الكيماويَّات .. وغيرِها من الأحمـاضِ والقلَوِيَّـات .

لذلك قالَ الحكيمُ مرادٌ :

ـــ اسمعْ يا أبـا حمـدان .. فسأُلحقُ ولـدَكَ الكسلانَ .. عندى بمَعمِلِ الألوان .. وسيكونُ أىُّ إهمال .. محسوبًا عليـه بالتَّمـامِ والكمـال .. وأىُّ تصرُّفٍ تقومِ به يَداه .. دونَ أن تلحَظَـهُ عينـاه .. سينقلبُ فى الحال .. عليه لا مَحال .

جزِعَ أبو حمدان .. وخافَ على ولِدِه الغفلان .. فضحِكَ الحكيمُ وقال :

ـــ لا تخفْ عليه فلن أُوذِيَه .. ولكننىِّ فقط أُريدُ أن أُربِّيه .. وأُعلِّمهُ جزاءَ الإهمال .. فيما يقـومُ بِهِ من الأَعمال ..

ودخلَ حمدان .. معملَ الكيماوِيَّاتِ والألوان .. ونظر حوالَيْـهِ فرأَى قواريـرَ الكيماوِيَّـاتِ والأصبـاغ . المُنـتشرَةَ فى كلِّ مكـان .. وسمِـعَ الحكيـمَ مُرادًا يُناديه .. وعلَى العملِ يُوصيه ويُوعِّيه .

ـــ اسمعْ يا ولدى يا حمـدان ؟ .. هذا زمـانٌ



يختلفُ عن سائرِ الأزمان .. فهنا لا كَسلَ ولا تَوان .. افتحْ عينَيك .. وانظُر حوالَيْك .. وحاذر على يديْكَ ورِجليْك .

ضحِك حمدان .. ذلكَ الكسلان .. فصاحَ الحكيمُ مراد :

ـــ ناوِلْنى القارورةَ الحمراء .

تحرَّكَ حمدان .. ونظر حولَه وهو سرحان .. ووضعَ يدَه فى أىِّ مكان .. فأمسكَ بالقارورةِ الخضراء .. بدلًا منَ القارورةِ الحمراء .. وما أنْ اهتزَّتِ القارورةُ فى يدَىْ حمدان .. حتَّى سَمِع دويًّا كدوِىِّ المدافعِ فى المَيْدان .. وتطلَّعَ حوالَيْهِ فأحَسَّ بدُوارٍ وسقط على الأرض .. ولمستْ يداهُ السَّائلَ المسكوبَ فأحسَّ بنارٍ تكويه .. وبكلماتِ الحكيمِ مُرادٍ تُرشِدُه وتَهديه :

ـــ اسمعْ يا حمدانُ الكلام .. وافهمْ ما أقولُ



بالتَّمام .. فعند ما أَطلبُ اللَّونَ الأحمر .. أحضرِ الأحمَرَ لا الأخضر .. وعندما أَطلبُ اللَّونَ الأصفر .. أَحضرِ الأَصفرِ لا الأحمر .. وإن لم تُنَفِّذْ ما أطلبُه وتفتَحْ عَينيْك .. فستُهلِكُ نفسَكَ بيَديْك .

ومرَّتِ الدَّقائقُ وحمدانُ لم يُفقْ من آلامِهِ بعد .. لكنَّ صوتَ الحكيمِ مُرادٍ ناداه .. فنظرَ إليه فى غيرِ انتِباه .

قال الحكيم :

ـــ والآنَ ناولْنى القارورةَ الطَّويلة .. ذاتَ الفَتيلة .. فتحرَّكَ حمدان .. مرَّةً أُخرى وهو سرْحان .. وأحضرَ القارورةَ القصيرة .. بدونِ فَتيلة . وفجأةً صرخَ وألقاها من يَديْه .. فسقطتْ فوقَ قدَمَيْه .. وأحسَّ بالألَم يزيدُ علَيه .. فنظرَ إلى وجهِه ويدَيْهِ ورِجليْه .. وقدِ اصطبغتْ بالألوان .. واحترقتْ فى كلِّ مكان ..

ضحِكَ الحكيمُ مراد ، وقال :



ـــ هذا جزاءُ من يغفُلُ وينام .. ولا يفكّر فى معنَى الكلام .. اسمعْ أيُّها الكسلان .. لا شكَّ أنَّك تُريدُ أنْ تُزيلَ آثارَ الحُروقِ والألوان .. أطعْنى إذنْ واسمعْ ما أقولُ بانتباه .. وستجدُ خيرًا إن شاءَ الله .

هزَّ حمدانُ رأسَه فى تسليم .. فصاحَ به الحكيم :

ــ أعطنى هذا اللَّون ..

فجرَى حمدانُ بسُرعة ، ورجَعَ بسُرعة . وجاءَ باللَّون المطلوبِ فى الحال .. دونَ أىِّ إهمالٍ أوْ إمهال .. واستمرَّ بعدَ ذلكَ علَى هذهِ الحال .. دونَ أن يحتاجَ إلى توجيهِ أىِّ سُؤال .

فقد حقَّقَ الحكيمُ مرادَّ المُحال .. بأقلِّ الأقوال ..

وأخيرًا قال الحكيم :

ــ خذْ هذا السَّائل وَضعْهُ علَى الحُروقِ والألوان .. تزولُ بإذنِ الله الرَّحمَن .. ولكِنِّى أُريدُك أن

تفهمَ يا حَمدان .. أنَّ الإنسان لم يُخلقْ معصومًا منَ الخطأ .. فالكمالُ لله وحدَه . لذلك أتركُ لكَ من الآنِ فصاعــدًا فُرصةَ الخطِــأ خمسَ مرَّات .. فإنَّك إنسان .. وبعدَها أُحاسبُك أشدَّ ممَّا كان .. فهذا خيرٌ لك يا حمدان .

ومنذُ ذلكَ الزَّمان .. وقعتْ بعضُ الأخطـاءِ من حمدان .. ولكنَّه لم يتعَدَّ الحدَّ الذى حدَّدهُ له الحكيمُ مراد .. ولم ينسَ فى مرَّةٍ من المرَّات .. النَّصائـحَ والتَّعليمـات .. وظلَّ يعمـلُ فى مَعمـلِ الأصبــاغِ والكيماويَّات .. بلْ وأصبحَ من أنشطِ العاملين .. ومن أنبهِ المُخترِعين .. ومن العلماءِ المُتفوِّقين .